

## فعل المحيط بالانسان

يختلف الناس بعضهم عن بعض في اللون والتد والاخلاق والمواد وطرق المعيشة الى غير ذلك من الفروق التي تميز امة عن اخرى وشخصاً عن آخر . ويمرئ لشوه هذه الاختلافات الى المؤثرات الخارجية والعوامل الطبيعية التي ما يورث في الانسان من يوم وجد على وجه البسيطة

وليس من غرضنا الآن البحث عن الفروق الشخصية وما يجعل كل فرد من الناس مختلفاً عن كل فرد آخر بل يات ببيان بعض الاحوال الطبيعية العمومية التي اثرت في بعض الامم فاكسبتها صفات مخصوصة تميزها عن غيرها

وعلماء الانسان يقسمون ام الارض الى اجناس محدودة كالجنس السامي والجنس التوتولي مثلاً وهذه الاجناس تختلف بعضها عن بعض في صفات ومميزات خاصة كاستدارة القحف وشكل الوجه وروز الخدين وهلم جرا . وقد نشأت هذه الاختلافات بتأثير المحيط الذي نشأ فيه كل من هذه الاجناس ولأجل ايضاح ذلك نورد الفقرة التالية من مقالة للامتاذ باتن احد اساتذة جامعة بسلفانيا قال فيها « اذا سكنت امة في الجبال العالية واخرى في السهول الواطئة نشأ بينها اختلافات بينة لا اختلاف محيط كل منها عن محيط الاخرى . فالذين يسكنون في الجبال ذات الهواء الجاف التي النشاط لا تحتاج رئاتهم الى العمل الكثير ولكن البرد وصيد الحيوانات ورعاية المراشي تجعلهم اقرباء قادرين على احتمال المشاق . ويكون طعامهم في الغالب صلباً جافاً يقتضي المضغ الكثير وهذا مما يقوي الاقسام السفلى من وجوههم وينمي عضلاتها ويترتب على ذلك صغر معدم وجودة هضمهم ونقاوة دمهم . ونتيجة هذه العوامل كلها ان سكان تلك الجبال يصحجون طوال القامة خصاص البطون مختلفين تمام الاختلاف عن الذين يعيشون في السهول الواطئة الذين يصيرون قصار القامة عريضي الاكتاف . ويصحب هذه التغيرات تغيرات اخرى لا تظهر في جميع افراد الامة ولكنها تظهر في كثير منهم وكثرة ظهورها دليل على انها نشأت عن اسباب مخصوصة تعمل في الكل »

وقال بعد ذلك في لعل المحيط بالاخلاق « والعفة والاقتصاد والاعتدال في الماكل والمشرب قد تنقلب الى اضدادها في الانسان الواحد اذا انتقل من محيط الى محيط آخر او اذا تغير المحيط حوله . وقد تظهر هذه الصفات في افراد العائلة الواحدة حتى يتجلى لنا انها

وراثية فيهم يتوارثها الاولاد عن الآباء لكن اذا نقلت احدم الى محيط جديد تبين لك  
 فساد هذا الاعتقاد . ومدنية كل امة وعاداتها لا يقيها على مرور الالام الا بقاء المحيط  
 الاجتماعى والمناخى الذى بنشأ فيه ابتاؤها . وفي محيط كل امة قوى تضطر كل ناشئ  
 جديد ان يسير في اثر اسلافه الاقربين ويعمل اعمالهم ويفكر افكارهم قبل ان يصل الى  
 درجة ارقى من الدرجة التى وصلوا اليها فاذا ضعفت هذه القوى ظهر الانحطاط في الامة  
 وقد كان للمحيط شأن كبير في تكييف المدينة في كل امة قامت وكان لما نصيب منها .  
 بل ان المدينة نفسها نتيجة احوال طبيعية خارجية فانها نشأت في اودية الفرات والنيل  
 والكنج والياكسكيانغ حيث السهول الطمعية التى يحدها الانسان ما يحتاج اليه من القوت .  
 فلما تفرلته في هذه الاودية ما هو محتاج اليه استوطنها وعدل عن التجول والترحال . ولما  
 اتفن حراثة الارض حتى حارت تنجح أكثر مما يحتاج اليه صرف بعض قوته الى بعض التنون  
 ومقتضيات الحضارة كبناء البيوت الفاخرة وتزيينها

اما القبائل التى سكنت البراري القليلة النبات فقامت على تربية المواشى فكان  
 لا بد لها من اتجاع المراعى والتنقل بالقطعان من ارض الى اخرى فاختلفت طباعها عن  
 طباع الام المتحضرة وارتفع شان القروسية والشجاعة لديها وذلك لحاجتها اليها في الدفاع  
 عن انفسها

والام التى سكنت البلدان الحارة لم تقم على حراثة الارض ولا على رعاية المواشى لان  
 الارض هناك تنبت كثيرا من الاشجار المثمرة ولان الحيوانات تكثر فيها ويسهل صيدها .  
 زد على ذلك ان الانسان فيها لا يفتقر الى اللباس لحرارة المراء فلم يعن سكانها بالصنائع  
 كما عني غيرهم

وللمحيط تأثير كبير في نشوء الصناعة والتجارة والتنون وسيرها في طرق مخصوصة فمن  
 عرف موقع فينيقية بين بحر كثير السمك والصدف وجبال تغطيها الحراج والاشجار رأى ان  
 لا بد لسكانها من ان يبنوا السفن ويركبوا البحار ويحروا مع الام الاخرى ولا سيما بعد ان  
 ضاقت طبيهم بلادهم

ولقد كانت مدينة البندقية في ايطاليا ام البحار في القرون الوسطى فكانت مركز التجارة  
 بين الشرق والغرب تروح سفنها وتجيء في البحر المتوسط والبحر الاسود وغربي اوربا وشمالها  
 حتى استولى الترك على الشرق الادنى كثر فقطعوا عنها تجارة البلدان الشرقية التى كانت  
 القوافل تأتي بحاصلاتها الى موانئ البحر المتوسط والبحر الاسود ففقدت البندقية اهميتها التجارية

وامخط شأنها . واهتم الفرييون باكتشاف طرق اخرى توصلهم الى الهند من غير ان يبروا  
ببلاد الترك فاكشفوا اميركا وطريق رأس الرجاء الصالح وتحول معظم التجارة الى يد  
البرتغاليين لان موقع بلادهم بلام ذلك . وما لبت الهولنديون ان غلبوا البرتغاليين على التجارة  
وكانت كثرة مغالبتهم لهم في طغيانهم على بلادهم الواطنة سببا في تهوين ركوبهم عليهم  
وتقليلهم له

وللمصانع علاقة كبيرة بطبيعة البلاد وما تفرجه من الحاصلات فوجود دود القز في  
الصين رفعت شأن صناعة الحرير فيها . وكثرة الصوف في بلاد العجم دعت الاهلين الى حياكة  
السط والسجايد والتأنيق في صنعها حتى اصعبت على ما هي عليه من الجودة والشهرة .  
ووجود الحجارة الكريمة في بلاد الهند جعل المترو يدعون في قطعها وصقلها . ولولا وجود  
الرخام في بلاد اليونان لما برعت تلك الامة في البناء والنقش وعمل التماثيل

والصناعة في عصرنا تقتضي قوة كبيرة لادارة الآلات ولذلك كثرت الماكن في  
البلدان التي يكثر فيها الفحم الحجري والثلاطات التي يمكن استخدام قوتها كما في بلاد  
الانكليز واميركا

ثم ان الاحوال الطبيعية تؤثر في حياة الامة فاما ان نفيها من الناقصين فتصون عاداتها  
واخلاقتها واما ان تجعلها عرضة لم فتكيف اخلائها في كل عصر على ما يقتضيه المحيط .  
ومن الامثلة على الامم التي كانت بلادها سببا في منعتها وحفظ عاداتها الهند فان البحر يمحيط  
بها من ثلاث جهات وجبال حملايا في شمالها سور منيع يصعب اختراقه ولذلك قلما تمكن فاتح  
منها . ومن الامثلة على النوع الثاني سورية التي ما برحت تخضع للفاتحين منذ اول عصر  
التاريخ حتى الان ولذلك لم تقم فيها امة واحدة . وما اضر بسورية الامم القوية الفاتحة التي  
نشأت حولها فقد استولى عليها البابليون والاشوريون والمصريون والحثيون واليونان والعرب  
وغيرهم من الامم فكانت في كل عصر تقتبس شيئا من الامة الغالبة

الآن مثل هذه الحواجز الطبيعية قد لفتل فعلها في العصر الحاضر اذ ذلل الانسان  
الجبال وخرق الجبال كما فعل في تفتي سمبلون وصان غوثار في سويسرة ووصل الجمار والانهار  
بعضها ببعض . واذا تم له تذليل الهواء تسارى لديه البحر والياسة والجبال والادوية وقتل  
الفروق بين اجناس الناس الى ان تزول على مرور الزمن